تأملات في واقع الدّراسات النحويّة واللسانيّة في القرن السّادس بالأندلس والمغرب

الأستاذ سعيد عيادي

أستاذ التعليم العالي

جامعة سعد دحلب – البليدة 2.

Résumé :

Cet article est le résultat d'une exploration sociologique sur l'ensemble des facteurs socioculturelles de la situation linguistique dans le Maghreb islamique durant le 6eme siècle de l'hégirie, le siècle ou la région du Maghreb a connu une évolution scientifique très remarquable ; soit au niveau des méthodes d'enseignement et d'application pédagogiques, ou soit au niveau des tendances de la recherche et ces techniques d'enquête ; en ce qui concerne en générale la qualité et la spécificité des études en sciences linguistiques.

. مقدمة:

تحتل الدراسات السوسيولوجية التاريخية أهمية كبيرة في الوقوف على كثير من الجوانب التي تميز الحياة الاجتماعية للمجتمعات، والتي يمكن من خلالها أن نتعرف على أهم خصائص التطوير عبر مراحل تاريخية، والتي بها نحسم في مسألة النوعية الفكرية والثقافية والإنسانية، لهذا المجتمع أو ذاك، ومن هنا فقد تناولنا جانبا مهما من الحياة العلمية والفكرية في بلاد الأندلس والمغرب خلال القرن السادس الهجري، حيث يشكل مرآة دقيقة عن الأوج الذي بلغته الحضارة العلمية الإسلامية في هذه المنطقة من العالم الإسلامي.

لقد كان جل اهتمامنا في هذا الصعيد قائما على كشف أهمية التطور النحوي واللساني الذي بلغته هذه المنطقة خلال القرن السادس الهجري، وهو ما يعني أن العالم الإسلامي وصل إلى بناء رافدين حضاريين حقيقيين مشرقا ومغربان الأمر الذي فتح الأبواب أمام النبوغ العربي والإسلامي في التواصل مع الحضارات الأخرى، بسبب ما بلغته من نوعية علمية وفكرية آنذاك.

سوسيولوجياً هناك مجموعة من العوامل والأحداث التي ننطلق منها في معالجة الحركتان اللغوية والنحوية، ولعل من بين أكثر العوامل قربا إلى هذا المنطق التحليلي السوسيولوجي، هو **البيئة الاجتماعية** للأندلس والمغرب، ثم **الأثر اللغوي**، ثم مستوى **الصناعة النحوية** وأعلامها من المنطقة ومن خارجها والدور الذي قاموا به سواء في المساهمة المباشرة في تحريك الصناعة النحوية أو من خلال الاحتكاك مع الرصيد القادم من بلاد الشرق، والذي يعني بالنسبة إلينا تركيز الاهتمام السوسيولوجي بالعامل الإنساني ودرجات تفاعله مع التغيرات اللغوية التي حصلت نتيجة هذه الصناعة،والتي انتشرت في بيئتين تختلفان كل الاختلاف عن البيئة الشرقية، حتى توطّدت وتوطّنت فيها الممارسة والصناعة اللغوية بالأصل منذ قرون.

عادة ما يرى علماء اجتماع اللغات وعلماء التحليل النفسي للغات أنه يمكن انطلاقا من فهم التراكيب التي تعتمد في تسيير ثلاثية المرسل والوسيط والمتلقي إدراك الزاوية أو الزوايا التي ترى منها ثقافة أي مجتمع إنساني ركائز واتجاهات الواقع الاجتماعي، ذلك أن هؤلاء العلماء ينطلقون من قاعدة:" **أن نقل القيم الثقافية والمعتقدات من فرد إلى آخر في المجتمع، يمر أساسا من خلال اللغة، وعلى هذا نستطيع ولعدة مرات أن نرى داخل بنية اللغة انعكاسا للكيفية التي ترى بها ثقافة معينة العالم(1)**

ينقل لنا الرّصيد الثقافي للغة ويحفظ مكوناتنا اللغوية والتعبيرية بما يتضمنه من خبرات كفائية (الكفاءات) وآليات ترمّز الرّموز وتضبط الدّلالات، وبصورة منتظمة وموجّهة عبر عدد محدد ومقنن من آليات التواصل الفردية

والجماعية، القيّم الاجتماعيّة والفكريّة والرّوحية والثقافيّة للمجتمع الذي تشكلت فيه هذه الخبرات من قبل، أو كانت فيه تجارب اتصالية تواصلية بأنماط مجتمعية أخرى، لتحقيق وشائجها الوجدانية بتحصيل التقارب والتوافق والتلاحق على مستوى المناطق والفضاءات التي تعرف حراكا اجتماعيا مؤثرا وحيويا في بنية العلاقات والرّوابط التي تقوم عليها حياة الجماعة، فتقوى بذلك تيارات الاتصال وتبرز القيم الحضارية للرصيد الثقافي التي تتغذى منه هذه التيارات، ويجد الجميع أمامهم بلا كلل ولا عناء المجالات الحيوية فكريا ونفسيا ولغويا، التي تستوعبهم بسهولة ويسر ويألفونها تدريجيا لتحقيق ذواتهم عن طريق التفاعل الابتكاري بين ما هم عليهم من مواقف فكرية وما يقع عليهم من أداءات تقوم على الاستثمار في الكفاءة والخبرة المتراكمتين وبحسب ما تقتضيه منهم مكاناتهم الاجتماعية في الفضاء العام للمجتمع.

ـ البيئة الاجتماعية والحياة العلميّة:

متانة الممارسة العلمية لعلم النحو وعلوم اللسان العربي من قبل مؤسسيه الأوائل ومن قدم من تلاميذه إلى بلاد الأندلس، فإذا كان علماء المشرق قد سبقوا باهتمامهم العلمي إلى وضع القواعد وضبط المناهج لعلم النحو وحددوا الكيفيات وضبطوا الطرق الخاصة لاستنباط واستخراج الأحكام والأصول النحوية بفضل الجهود اللغوية المتراكمة دون توقف، فإن على مستوى بلاد الأندلس والمغرب كانت جهودا أخرى تعمل على تحقيق مزيد من التراكم العلمي، ذلك أنه وبفضل هذه الحواضر ومجالسها العلمية المنتشرة، تشكّل ما يشبه في عالمنا المعاصر نواة مدارس واتجاهات نحوية في الأندلس.

النتيجة النهاية التي أعطت علامة التميز للأندلس كونها قد احتضنت احتضانا كليا أسس وقواعد اللغة العربية بكل مذاهبها المشرقية الثلاثة، وكل ذلك كان بفضل جهود كبيرة بذلها النحاة العرب المهاجرين من بغداد إلى الأندلس، فكان المرجع والحجة في التدريس والتعليم كتاب سيبويه" (2)، الذي سيتحول أمر الاهتمام به والاعتماد عليه إلى نحو من تيار فكري جديد، لا

يحيط بمسائل النحو العربي وحسب، بل سيكون وراء نشوء حركة دراسات متعمقة ساهم المستشرقون لاحقا فيها بكثير من مساهماتهم ودراساتهم (3).

كان العامل الأساسي في تحوّل الأندلس إلى هذا الفضاء اللغوي والأدبي الرحب، نجاح علاقة التواصل بين المشرق والمغرب، فالتواصل العلمي الناضج بينهما أضاف الأندلس منارة جديدة من منارات العلم الفاعلة في حضارة العرب، فالعلماء الذين نزلوا أرض الأندلس قادمين من المشرق جاءوا بعلوم غزيرة ومعارف متنوّعة، لكونهم كانوا التلاميذ المباشرين لنبغاء الطبقة الأولى من أمثال العلامة **جودي النحوي**.

هذا الأخير كان له فضل الاتصال والتواصل مع العلماء الأوائل، حيث أدرك جماعة بارعة من علماء النحو العربي على رأسهم **الكسائي والفراء والغازي ابن قيس**، فهو وبحكم التجاور والعلاقة كانت له الفرصة والفسحة في الزمان والمكان، أن عاصر واحتك واستفاد استفادة علمية دقيقة من معارف وكفاءة الأصمعي وجماعته، ونال منهم من العلم والمعرفة، ما جعله لاحقا يتخصّص في تقديمها ببراعة ويستفيد منها العلماء والطلبة في مختلف المجالس العلمية بالأندلس(4)، فهم سواء كانوا في البصرة آو في الكوفة، أو في غيرهما من مدن المشرق والعراق بالخصوص، كانت سمعتهم تطبق آفاق المشرق والمغرب، لذلك وقع التواصل مع تلاميذهم بكل دقة وقوة.

ـ محطات بخصوص المعطى الأندلسي:

لم يكن يشغل آهل الأندلس ذلك الجدل الدائر في المشرق حول ما إذا كانت هذه الجماعة معروفة في الكوفة قبل البصرة أو العكس، كما لم يكونوا في حيرة فيما إذا كان **كتاب الكسائي** قد وصل إليهم قبل **كتاب سيبويه** أو العكس، فهذه أحوال لا ترتقي إلى مستوى المسائل الحقيقية المبحوث عنها هنا في بلاد المغرب، فقد كانوا يطلبون علما، ولم تكن تهمهم التفاصيل التاريخية والحياتية لهذه الجماعة، والأجمل أن أهل المغرب والأندلس لم يخوضوا

فيما إذا كان جودي النحوي هو أول من أدخل **كتاب الكسائي** أو غيره إلى بلاد الأندلس.

المسألة كانت ذات بعد وطرح حضاري، هو البحث عن تنمية العلوم والمعارف **(5)**، وهل سيزيد في العلم زادا جديدا من المعارف والعلوم، إن تجادل البعض هنا مستقصين عمن ادخل لأهل المغرب كتاب سيبويه أهو الأقشينق محمد بن موسى بن هاشم (المتوفى سنة **307**هـ) أم غيره من الأسماء الواردة الأخرى، المهم هنا أن الكتاب قد وصل ودخل سواء كتاب الكسائي أو كتاب سيبويه، فالمهم أن مجالس قرطبة وإشبيلية كانت تدرّسه وتعلمه للناس **(6)**

في هذا النموذج الأندلسي ـ المغربي، نجد فئات تنتظمها فضاءات الأفراد والجماعات الاجتماعية في توافق تعبيري استعمالي يخلق أنواعا من التآلفات اللفظية التي تأخذ شكل رموز تربط الهيئة اللفظية بالموقف اللغوي التعبيري، وخاصة إذا تعلّق الأمر بنشاطات تدريسية في مجالس علمية غايتها امتلاك ناصية العلم والتمكن منها، وعند هذا المستوى من التفاعل فهي تلقى عندهم جميعا، المعلمون والمتعلمون نفس الصور الدلالية بالتعلم والتواصل، العلاقة التواصلية التي يتدخل فيها الموقف الإنساني بأبعاده الثقافية والفكرية تتحوّل أخيرا إلى ترابط تنفسح له العلاقات الاجتماعية.

ففي كل حال من الأحوال الاجتماعية يتيح موقف ومقام صاحب المعرفة أو ناقلها للمتلقي إبداء الموقف التفاعلي بالقبول أو الرفض أو التأجيل أو المناقشة أو حتى إثارة العلاقة الجدلية في الفهم والتلقي، ويتضمن الموقف التفاعلي بين الأفراد والجماعات الاجتماعية مجموعة من الآليات التواصلية عن طريق النقل العلمي والمعرفي للقواعد والمعارف والنظريات وأسماء العلماء والتأشير والتنميط والتخزين والتحوير وتحديد صيغ التلقي والتبادل بمختلف أشكاله، وتدفع هذه الآليات التواصلية بتنوّعها وتعدّد مداخلها لتفتح آفاقا رحبة من النبوغ والامتلاك وأخيرا الإبداع.

تتيح التحكم في استعمال المكوّنات النحوية والصرفية واللغوية على أساس كونها تشكل وسطا تعبيريا تتآلف معه كل الاستعمالات وتتوافق كلّ الرّموز العلمية والتقنية وتعطي اتفاقا مشتركا أمام الطرفين بمضامين المدلولات اللفظية المتداولة أثناء هذا الاستعمال، وهي التي تحدد وتضبط وتوجّه بدورها الرسائل الصوتية واللفظية في سيرورة العملية اللغوية الاتصالية وفعاليتها التواصلية، وهو الأمر الذي تؤكده الدراسات اللغوية التاريخية عن طبيعة المجالس العلمية التي عرفتها بلاد المغرب الإسلامي وخاصة في القرن السادس الهجري.

ـ التوارد والتلاحق بين المشرق والمغرب:

إنها المنطقة التي احتضنت اللغة العربية من خلال مختلف الرموز الاجتماعية والنفسية والثقافية وأعطتها قوة بالحضور على مستوى المؤسسة وعلى مستوى التوثيق العلمي والفكري، وتحوّلت أساساً إلى جزء فاعل في الهوية التاريخية للغة العربية في بلاد المغرب بضفتيه، وهذه الفاعلية تجلت من خلال صيغ وسياقات الاستعمال عبر مجالات عديدة.

في حين أننا نجد بالمقابل أن تشريح ومعاينة المستوى الاستعمالي والوقوف على مختلف مجالاته في بلاد الأندلس والمغرب، ليستا على نفس النحو، فبلاد الأندلس كانت تقف على رصيد ثقافي قوي للغة العربية وكانت تنطوي على خصائص لغوية متميزة وبلاد المغرب العربي كانت بدورها كانت تتميز باستعمالات متجذرة في خصائصها اللغوية التي حددت تاريخيا ملامحها التاريخية وأبرزت خصائص هويتها اللغوية من خلال استعمالات سكانها للغة الأمازيغية.

لكن ذلك لم يكن يمنع لاحقا بوجود ترادف لغوي قوي بين العربية والأمازيغية، الأمر الذي سمح لكثير من العلماء الأمازيع المشاركة في النهضة اللغوية في العدوتين بلاد المغرب وبلاد الأندلس، كما أن لعامل **الألفة الاجتماعية** الدور الكبير في المساهمة في هذا الانتشار اللغوي، ففي الأساس أن هذه الألفة

هي التي كانت السبب المباشر في حدوث حركة هجرة قوية من الشرق إلى هذه المنطقة، ومنها وبفضلها انتقل البغداديون والشاميّون إلى الأندلس والمغرب، وهو ما سمح بربط علاقات إنسانية قوية بين الشرق والغرب الإسلاميين.

يدرك الفرد من خلال مختلف أنماط الاتصال اللغوي طبيعة ومضامين القيم والمعايير التي تحكم سياقات تفاعل الاتصال اللغوي في المجتمع، والتي بها يستطيع تفعيل دوره بما هو أهل له وقادر عليه، فيما يتاح له من إمكانية ترقية فكرية أو علمية أو ابتكارية تفسح أمامه السبيل لتوسيع دوائر الاتصال العلمي والإنساني بكل أنماطه.

مكوّنات رصيد اللغة في ارتكازها الثقافي تتضمّن ديناميكية اتصالية تخلق دائما تواصلا بين الأفراد والجماعات الاجتماعية، باعتبار أنّ هذه اللغة تمثل في الأساس وسيطا حيويا يساهم في جعل عملية الاتصال العلمي والإنساني بين مختلف الجماعات الاجتماعية عملية تضمن لهم تحقيق التفاهم وتقريب الخبرات وتحصيل التوافق الدلالي والرمزي، وتساهم بعد ذلك في تسهيل أداء الأدوار العلمية ـ التعليمية بتمكين الجميع من استعمال تعبيرات متوافقة تؤدي بدوامها إلى توفير الحاجات النفسية والاجتماعية والفكرية لامتلاك المعرفة العلمية بقواعد اللغة، بتوافق تعبيري أكثر انتظاما ووثوقية، انطلاقا من تحيين العوامل المساعدة على تفعيل التواصل اللغوي في عملية نقل وتبادل المعلومات، والتعبير عن كل الأفكار والمشاعر والأحاسيس بين جميع الأطراف وفق نظام رمزي متوافق ومؤتلف وهي المرسل والوسيط والمستقبل.

ـ المقدمات والنتائج في دائرة التواصل والتفاعل:

هذا يعني أن الأصل فيما جرى لم يكن مرتبطا بإنشاء مدارس مختصة في الصناعة اللغوية والنحوية، وإنما جاء المتحدثون باللغة العربية أولا ونقلوا معهم الكثير من الأغراض ومن بينها الكتب والوثائق التي كتبها ونشرها علماء النحو العربي وعلماء اللغة العربية فوقع الاحتكاك وتواصل الناس بين

المنطقتين، وهو ما جعل من أمر إنشاء المدارس النحوية شيئا لازما وضروريا لتفعيل العلاقة بطريقة علمية منظمة، وهو ما حصل بالفعل.

بلاد المغرب والأندلس لم تكن في لسانها من حيث التكوين والتداول والاستعمال مما يتناسب مع اللسان السائد في البلاد العربية من حيث نفس التكوينات، ولذلك كانت خصائص اللسان في بلاد المغرب وغالبية سكان الأندلس، دافعا قويا وحاسما على وجود حالة فكرية وإنسانية من الاهتمام والإقبال على قراءة علوم اللغة العربية وإتقانها والإقبال أيضا على قراءة وحفظ القرآن ودارسة بناءه اللغوي، وقد حصلت هذه الحالة مبكرا في الحياة الثقافية في هذه البلاد بعد اختلاط ثقافتها الأصلية بثقافة الإسلام الوافدة، وحصول تداخل في القيم والمبادئ الثقافية والدينية لحياة المجتمعين.

لذلك كان تعلّم اللغة العربية في البداية قائما ضمن فضاءات إنسانية من الاحتكاك والمحاكاة والتداول اليومي، وخاصة من خلال مفاصل التعبير الشفوي أكثر من التعامل مع النصوص المكتوبة، لكن انتشار هذه الثقافة وحاجة المجتمع الجديد إليها نقلت الاستعمال اللغوي من الشفهي إلى المكتوب، وهكذا دفعت الحاجة بالناس إلى الإقدام على تعلّم اللغة العربية الأدبية المكتوبة في مؤسسات وهيئات تعليمية متخصصة وهذا استجابة لأهداف ومطامح بيئية اجتماعية.

الأمر الملفت للنظر على هذا الصّعيد، هو ارتباط الفعل التعلمي بوجود علماء نحو من جهة ووجود مؤسسات اجتماعية وعلمية تتولى تخصيص الفضاءات لتخصيب العلاقة بين من يحملون العلم ويسعون لنشره وبين من يرغبون في الالتحاق بهم ومجالستهم على أمل امتلاك ناصية هذا العلم، هذا التوافق بين وجود المؤسسة ووجود النخبة سمح ببروز جيل من العلماء المعلمين، التي سمحت لها الظروف من إحداث تغييرات واسعة في العادات والطباع اللغوية والألسنية في المغرب والأندلس، فتفاعل الكبار والصغار والنساء مع هذه الحركة التعليمية،

ودخل المجتمع بذلك في طور تجديد كثير من خصائصه الثقافيّة واللغويّة والفكريّة، وانفتح على أمصار وثقافات مشرقية جديدة.

بناءً على المعطيات السوسيولوجية والتحليل نفسية يصير من المناسب منهجيا ومعرفيا الانتقال بمفهوم القيمة الاتصالية للغة من الإطار العام إلى الإطار الخاص، الذي يقوم على عدد من المعايير المحددة لطابع الانتقال في المفهوم، فاللغة وعلى أساس كونها مجموعة من الرموز والدلالات والمكونات اللفظية والأداءات التعبيرية ذات الرّصيد الثقافي المتراكم، تصير عبر كلّ مرحلة من مراحل الانتقال والارتقاء في المفهوم إلى امتداد تواصلي إنساني يتفاعل مع المقومات الفكرية واللغوية والإنسانية لإبداعات العقل الإنساني.

ذلك أن هذا الامتداد هو الذي يرسخ في اللغة صفة اللغة الحية، لكونها تستثمر في عطاءات العقل الإنساني وينهل منه هو في كل حاجاته الإبداعية، وهكذا تكون حالة كل لغة حية تجتاز مراحل انتقاليو بنائية مرتبطة بالإنشاء الحضاري، وهو ما تعكسه طبيعة اللغة العربية واستعمالاتها المتعددة في الفترة التي عرف العالم العربي والإسلامي تقدما وازدهارا كبيرين، ومع ذلك فمازال العقل الإنساني ينهل من مخزون هذه اللغة، ويبدو لنا أن المستشرق الفرنسي **جاك بيرك Jacques Berque** قد أتقن شرح أبعاد إشكالية الامتداد التعبيري في اللغة العربية من خلال كتابه :**اللغة العربية" (7)**

هنا لم يكن الأمر متعلقا بتعلم اللغة العربية وممارستها على مستوى مؤسّسات العبادة، وإنما تم تخصيصها بإطار مهيكل لها أكثر فاعلية وتنظيما على مدار أيام الأسبوع، كان مدار الجلسات العلمية والتعليمية يتمحور حول تدريس وتفهيم مختلف القواعد لمختلف علوم العصر، ونظرا لارتباط العلوم الآلية بالعلوم العالية فقد تم الجمع في التدريس بين علوم الشريعة وعلوم اللغة العربية، فكان المدرسون يشتغلون في نفس الوقت على إعطاء دروس في الفقه والحديث والأخبار من جهة، وعلوم النحو والصرف والبلاغة والعلوم اللسانية والأشعار من جهة ثانية.

يبدو لنا أن الحاجة إلى مثل هذا الأمر أملتها الظروف الفكرية والتاريخية والثقافية للبلاد آنذاك بصفة عامة، وربما علة ذلك ما يلي:" **أنه لم يكن عند مؤدبي العربية ولا عند غيرهم ممن عنوا بالنحو كبير علم بكل المسائل، وذلك أن المؤدبين إنما كانوا يعانون إقامة الصناعة في تلقين تلاميذهم العوامل وما شاكلها وتقريب المعاني لهم في ذلك ولم يأخذوا أنفسهم بعلم دقائق العربية وغوامضها والاعتلال لمسائلها، ثم كانوا لا ينظرون في إمالة ولا إدغام ولا تصريف ولا أبنية، ولا يجيئون في شيء منها (8)**

ـ التفاعل السياسي ـ العلمي في بلاد المغرب:

يبقى من المهم الإشارة هنا إلى أنّ التوتر السيّاسي والعسكري وآثاره السلبيّة على الأمن والاستقرار في بلاد الأندلس، كان من بين العوامل التي ثبّطت أحيانا هذه الحركة اللغويّة البارعة في بلاد الأندلس وحدّت من نشاطها، فالنزعات الداخلية والحروب والمواجهات المسلحة، ذات العلاقة المباشرة بفتن البلاط وترتيباتها، التي كانت تشهدها المنطقة بين الفينة والأخرى، من العوامل المؤثرة على تراجع النشاط العلمي الإبداعي للعلماء، فالقرن السادس الهجري انكشف لنا مبكرا بسيل من الفتن والحروب وثورات الضواحي والتجمعات المنعزلة والهجمات المتكررة على المدن التي ألحقت بها خرابا ودمارا على مر هذه الهجمات، كما أن تراجع الحس الوطني مسّ مساسا مؤثرا بالتجانس والاستقرار بين مختلف مكونات المجتمع، ووضع الجميع أمام محنة انهيار وتراجع الوحدة الوطنية التي كانت تجمع سابقا بكل تنسيق بين مختلف المكونات الإنسانية والقبلية للمجتمع.

هذه الحالة الاجتماعية المأساوية ورغم آثارها السلبية على مستويات عديدة، إلا أنها لم تكن لتمنع النشاط العلمي من الوجود والاستمرار ولم تحل دون بقاء العلماء مثابرين وفاعلين لمواصلة إسهاماتهم اللغوية والنحوية بكل تحدي والتزامن فالحركة العلمية واللغوية أبانت عن وجود عوامل دينامية قوية

في مسيرتها، بيّنت أنها لم تكن مرتبطة ولا مقيدة بالأوضاع السيّاسيّة والعسكريّة، خاصّة في مرحلتها المتردية والمتهاوية.

المؤسسات والدوائر والمجالس التي كانت تحتضن هذه النشاطات كانت تمثل بقوة عنوانا للحركة العلمية التي كانت تشمل بفضاءاتها أغلب العلماء وتشجعهم على تجاوز آثار الأوضاع الاجتماعية والسياسية السيئة، فالتدريس والعلمي ومجالس التلقين والشرح وإدارة مختلف مضامين النشاط العلمي والتعليمي التي كانت مستمرة في الحفاظ على سيرورة الطلب العلمي بين مختلف طبقات المتعلمين وبقيت وتيرة نشر وتوزيع الكتب والمؤلفات مستمرة على حالها ولم تكن متأثرة ولا فاترة، بل كانت ضمانة دافعة على استمرار قوة حضور الحركة العلمية.

مما نجده مفيد الإشارة إليه في هذا السياق هو ما يتعلق بمعطيات القرن السادس الهجري بالمغرب والأندلس، والذي يرجع دون شك إلى تلك العزيمة القوية التي كانت تمثلها دولة المرابطين وتدافع عنها، فكريا وسياسيا وعلميا، فدولة المرابطين التي وفرت الأمن والاستقرار ودافعت عن الحركة العلمية وسعت للدفع بها إلى الأمام، كانت خير من يمثل تلك العوامل التي ظلت تأخذ منها هذه الحركة العلمية وتستقي قوتها وهمتها.

لا ننسى الإشارة هنا إلى تلك النقطة القوية سياسيا وعسكريا التي توفرت أثناء الفترة التي حكم فيها المرابطون وخاصة منهم **علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي، ويعقوب يوسف بن عبد المؤمن وابنه يعقوب المنصور**، فقد عملوا بالتزام وحرص على إقامة مجالس العلم والتعليم وشجعوا إقامة العلماء وجلبهم إلى مختلف المدن للإقامة والنشاط فيها، مع تدعيمهم معنوياً وعلمياً، وقد نشأ جراء هذا الحال العديد من المجالس والمدارس العلمية على كل مدينة من المدن التي كانت تخضع لسلطة المرابطين، وهكذا عرفت كل مدينة تواجد عدد من العلماء في تخصّصات مختلفة، فالحركة العلمية التي انشلاها

المرابطون وسهروا على بقائها، كانت وراء نشوء حركة للعلماء وحركة موازية متشكلة من طلبة العلم.

لقد كان هناك إقبال متميز من قبل الحكام المرابطين على فتح الآفاق العلمية والسياسية نحو تعليم اللغة والنحو العربيين وقاموا بتشجيع المبادرات من هنا وهناك، ومن الطبيعي جدا أن نفهم هنا أن ارتباط اللغة العربية بالإسلام، هو من دفع الحكام المرابطين إلى تشجيع الحركتان اللغوية والنحوية في الغرب الإسلامي، فالصناعة اللغوية القادمة من بلاد الشرق كانت كاملة ومستوفية، وكانت الحاجة ماسة أمامهم للبحث عن لغة تتبناها للسلطة السياسية في هذه المنطقة، وفي نظرنا فإن هذا الإقبال قابله من ناحية أخرى تجمد الحراك التواصلي باللغة الأمازيغية ولهجاتها، خاصة أنه لم يبلغ الاهتمام بها إلى ذلك الحين بإخراج ضمن كتب ومؤلفات، حيث أن تغيرات حاسمة ستحصل وستمس جغرافية انتشار اللغة العربية، وكان ذلك بطبيعة الحال ضمن المناطق الجغرافية التي كان يتحدث سكانها باللغة الأمازيغية، وسرعان ما تعرّبت اللغة الأمازيغية أولا، ثم تعرّب الناطقون بها، من دون أن نجد لغة ثنائية مختلطة مكتوبة أو منطوق بها تجمع بين اللغتين الساميتين العربية والأمازيغية.

ـ عرض مساهمات نشاط الدّراسات النحويّة واتجاهاتها:

ساهمت تلك الهجرة التاريخية النوعيّة التي قام بها كثير من النحاة العرب، الذي قرروا تحت ظروف مختلفة من تغيير المجال، من المشرق نحو المغرب، فقد خرجوا من مدينة بغداد والضواحي المرتبطة بها خاصّة وقادوا حركة إنسانية وعلمية رائدة ورائعة باتجاه بلاد الأندلس وبلاد المغرب، فازدانت تلك البلاد بفيوضات وإسهامات علميّة قلّ نظيرها في تاريخ الإبداع اللغوي في البلاد العربية قاطبة، وأغرت الكثير من المستشرقين إلى القيام بدراسات لغوية عديدة مقارنة وتشريحية لطبيعة الإضافات والإسهامات التي قدمها النحاة العرب لبلاد المغرب والأندلس.

تعتبر اللغة الإطار التعبيري الذي يخلق الشحنة النفسية الفكرية التي تحرك العقول للتفرغ والتدبر والاستمرار في تفكيرها الصامت، فالتفكير الصامت هو تأمل يستحضر كل الألفاظ والكلمات والمعاني، التفكير الصامت هو الرصيد البلاغي المتين الذي تنكشف عنه كل عمليات الإنتاج الفكري والأدبي، فطول التفكير ينسجم مع طاقة التفكّر، وإعمال التفكر باستمرار يجعل اللغة مادة حيوية بالألفاظ والتعابير والحسن اللفظي، وعليه فإن النظر الإنساني يتجه دائما ووفق خط مستقيم واحد ووحيد إلى فهم علاقة لغة منسجمة متولدة عن لحظات التفكير الصامت والمرتبطة أكثر باتجاهات الصناعة الأدبية.

فالأدب واللغة التي تصنعه يعبر باستمرار عن هذا الحنين الأبدي الذي يجعل الإنسان يسعى ليفهم العالم المحيط به، ويشعر الإنسان أنه كلما أطال في التفكير الصامت، كلما كانت الحلقة متينة بينه وبين العوالم التي تحيط به، فطول التفكير هو في نفس الوقت انسجام وانفساح على مكنونات هذا المخزون الطبيعي والبيئي الذي يغمره بشدة، ومن هنا تأتي نظرية الأدب لتعبر عن مدى جسارة الإنسان وجرأته على فهم مكنونات الطبيعة والتعايش معها كما كان يفعل **جلال الدّين الرّومي** عبر مآثره الخالدة المتضمنة في **المثنوي الشهير**.

عملية التبادل مشرقا ومغربا هذه تستدعي موقفا لغويا أو بعض المواقف الفرعية المستخلصة منها والتي تبدو فيها الخصائص النفسية والاجتماعية أكثر تأثيرا وبروزا، حيث ينتظم حوله أو حول هذا البعض من المواقف الفرعية، جميع المتفاعلين ضمن ثلاثية الاتصال ـ التواصل، لتحقيق مستوى تعبيري دقيق ومتواتر يخدم بدرجة أساسية النظام الاجتماعي الذي تقوم عليه فضاءات العلاقات والرّوابط الاجتماعية بين الأطراف المتفاعلة بما لكل طرف بالمشرق والمغرب من رصيد ثقافي غني ومتنوع.

القوة التعبيرية لأي لغة من اللغات الإنسانية القائمة هي العامل الأكثر حسما في تحديد مدى ومستوى امتدادها داخليا وخارجيا، فتراجع هذه القوة

يهدد كيان اللغة في داخلها ويخلق بالتدريج اتجاها نحو تحقيق التكافؤ اللغوي التعبيري عن طريق الإمساك بمعادلة الإزداوجية أو التعددية اللغوية، إذا كانت مقومات الازدواجية والتعدد تسمح في ظل الفراغ أو الضعف على ضمان التوافق والتناسق والتفاهم بين أفراد المجتمع المعني بهذا التراجع في القوة التعبيرية.

لكن ما نلاحظه في هذا السياق هو ما يحصل في بعض المجتمعات التي تشهد تصاعدا وتراجعا في القوة التعبيرية للغة الأم نتيجة تأثر رصيدها الثقافي ببعض العوامل الثقافية والفكريّة المثبطة، الأمر الذي يمكن أن تصبح معه اللغة المتأرجحة بين قوتي الهبوط والصّعود في النسق التعبيري سببا مباشرا وعاملا رئيسيا في حدوث صراع اجتماعي على وقع الارتداد في الرّصيد اللغوي، حيث أنه ومهما من ظروف ومن معطيات الصعود والهبوط تبقى اللغة، " وسيلة التفاهم والتعبير بين مختلف الأفراد والفئات، وقد يحدث بسبب تعطل هذه الوسيلة توجّها نحو الصراع الثقافي ـ الاجتماعي، وذلك حين تتباين اللغة واللهجة ويضطرب مستوى التعبير داخل المجتمع الواحد" **(9)** فتعدد مستويات التعبير بتعدد الفئات والجماعات الاجتماعية، وهو ما ينذر بتفكك اللغو وانهيارها.

وعليه تصبح جميع الآليات التعبيرية التي تدخل في مقتضى ثلاثية الاتصال اللغوي ـ اللفظي أكثر ارتباطا بالمكونات الثقافية والفكرية في المجتمع، وهو الشيء الذي يعطي للشاعر قوة إبداعية ولرجل الإعلام في وسائل الاتصال السمعية البصرية أكثر قدرة على تبليغ رسائله بانطباع تعبيري جذاب ويجعل المعلم والأستاذ أمام تلاميذه يشعر بكثير من الأريحية وهو يستعمل قوته التعبيرية لتمكينهم من اكتساب الكفاءات التعلمية المبرمجة خلال الحصّة الدراسية، هذا الارتباط اللغوي ـ التعبيري في مختلف المواقف الرئيسية يندرج ضمن سياق تفعيل وتأطير الاندماج الاجتماعي بين جميع المتفاعلين في الدوائر التواصلية، حيث يندمج الفرد بسهولة ويسر وبطريقة تدريجية مع كل ما يوجد من أنماط وأشكال التواصل الاجتماعي ـ التعبيري في المجتمع ويشترك معهم

بالتالي بالتمتع بخصائص مشتركة آو متقاربة في التفكير والتعامل والتقمص واحترام القيم والعادات، والالتزام بمختلف ضروب السلوك الاجتماعي الجمعي.

ـ الدور الإنساني في النهوض العلمي والإبداع اللغوي:

ساهم الإسراع والنضوج في النظام التواصلي بنشوء مؤسسات علمية تحتضنهم على صعيد واحد وتدفع بهم للتآلف مع خصوصيات المنطقة، والمشاركة بعدها في دعم النشاطات المرتبطة بالصناعة اللغوية، فطفقوا يكتبون ويعلمون ويتنقلون، ويبادرون إلى مراجعة مناهج الأوائل والسهر على تجديدها ما أمكن، وأثمرت هذه الجهود ببروز معالم حواضر لغوية في هذه المنطقة، سرعان ما تدعّمت بأسماء وشخصيّات قدمت إضافات نوعيّة للدّراسات اللغويّة واللّسانية، وهكذا بدأت الحواضر تظهر الواحدة تلو الأخرى، قرطبة، القيروان، تلمسان، فاس، المسيلة، فالجوّ الثقافي كان مناسبا ودافعا على المشاركة في هذه الصناعة الجديدة، وكان تحرّك هذا الجوّ الثقافي في الحواضر الجديدة على علاقة بالشروط الإنسانية التي كانت عرفها هذه الحواضر، فكان المعلمون كثر وكانت المؤسسات تستقبلهم وكان الإقبال عليهم متميزا.

كان التعاطي مع كتاباتهم أو شروحهم لكتبت ومؤلفات **سيبويه والكسائي والزجّاج**، بارعة ومتميّزة على نحو خاص، فقد حصل ارتقاء فكري ونوعي متوازي بين إنجاز الدراسات وتوسيع مدار التواصل التداولي عبر هيئات ومجالس علمية، فانفتاح أبواب البلاد أمام ورود شخصيات علمية غيّر من الخارطة الفكريّة والدراسيّة كانت سمعتها قد سبقتها إلى هذه الأرض قبل مجيئها تغييرا جذريا، فالاهتمام والإقبال خلق نوعا من التلاحم بين هذه الشخصيات وأهل البلد، فعرفت العلوم اللسانية امتدادا كميا نوعيا، وكان من اليسير بدء ظهور معالم مدارس نحوية أندلسية، فالنقلة كانت ناضجة والتلاحم كان رسميا، وهكذا صارت لعلم النحو هيئات ومجالس رعاية وإشراف،

وتعرّف المتعلمون والعلماء على تلاميذ النحاة الأوائل وكانت الأسماء من شهرتها متداولة بكثرة على ألسنتهم.

لقد تأثر المغاربة في الضفتين بسمعة الخليل وسيبويه ويونس بن حبيب وغيرهم، ونشأت نتيجة هذا الحراك العلمي الواسع حواضر علمية مشهورة شهرة هؤلاء على غرار حواضر **القيروان** و**تلمسان** و**فاس** و**قرطبة**، فبرزت لأول مرة ظاهرة الحواضر اللغوية في بلاد المغرب المقابلة للأندلس، وتحوّلت إلى مدن تشهد مجالسها العلمية وفرة النشاط العلمي بتواجد علماء نحو وأدب ولغة مشهورين، وهكذا نشأت حركة تأليفية متوازية ومرتبطة بالحركة التعليمية التي ظهرت بظهور هذه الحواضر، ومع امتداد الحركة وانتشارها، أنشا هؤلاء العلماء لأنفسهم ترابيد وكراريس تشبه المناهج التعليمية في عالمنا اليوم، لترسيخ العلاقة العلمية المتينة على مستوى المجالس العلمية القائمة.

اللغة كمادة تعبيرية قوية وبرصيدها الثقافي التواصلي الغني، تشكل مرآة عاكسة للواقع الاجتماعي بكل مكوناته وخصائصه وتراكماته التاريخية، حيث تكون متاحة لجميع المتفاعلين بنصوصها وألفاظها وكلماتها والرّموز والدّلالات التي تحملها، من خلال المواقف التعبيرية التي تظهر عبر مختلف الفضاءات الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية، وعبر مؤسّسات وهيئات ومجالات إنسانية حيوية يقوم عليها الحراك الاجتماعي اليومي للجماعات الاجتماعية وتكون عاكسة بانتظام للوضعيات التواصلية في المجتمع، فالمجتمع بذلك يشكل نسيجا من التشابكات المتلاحمة في التفكير والتصور والانطباع والتصرف والتعبير.

ـ شواهد على نوعية التواصل في المجال الغوي:

لقد كان من أبرز من شرحوا كتاب سيبويه وعلقوا عليه **الأعلم الشنقري يوسف بن سليمان الأشبيلي**، وهو المعروف بعلمه الوافر وكثرة نشاطاته وإسهاماته في الحياة اللغوية والأدبية بالأندلس، وإليه يرجع التميّز بشرح الشواهد الشعرية للكتاب، وقد فاقت ألف بيت شعري وكان موضوعيا

وصادقا وحريصا على نسبتها لأصحابها، وإلى جانبه نجد كذلك العلامة **أبا علي القالي اسماعيل بن القاسم البغدادي**،المشهور كذلك بمؤلفاته وكتبه المتميزة، ومن بينها "**المقصور والممدود**" و"**الأمالي**" و"**البارع**" و"**النوادر**"، عاش بقرطبة واستقر بها وكان له مجلس علمي يدرس فيه **كتاب سيبويه**، وكانت له آمالي معروفة في ذلك، من دون أن نغفل عن إضافة **أبي بكر الزبيدي**، الذي كان مشهودا له بالبراعة في تدريس كتاب سيبويه وكان يستدرك عليه كثيرا من المسائل النحوية والصرفية"**(10)**.

مما لا يختلف فيه الدارسون لتاريخ الحركة النحوية واللسانية العربية وخاصة على طول تاريخ خطها الأندلسي، أن سيبويه وكتابه الشهير سيظل المعلم الذي تؤخذ منه معالم تطور مناهج الدراسات النحوية واللسانية، فكل النظر والأخذ والاعتبار في الاجتهاد وبناء الأحكام كان منطلقه **كتاب سيبويه**، فهو المرجع الأم في بناء كل خطوة دراسية في الأبحاث النحوية واللسانية، ولهذا السبب فكما هو المرجع والمنطلق، فهو أيضا المصدر الأول الذي شهد الكثير من الاهتمام الدّراسي من خلال ما عدّه المهتمون به من شروح وتعليقات وضعت بشأنه ووضعت كذلك استدراكات على هذه الشروح ضمن حركة من التراكم والإضافة المستمرّة.

لقد برز الكثير من العلماء الأعلام في مختلف علوم وفنون اللغة العربية، وتشكلت حولهم دوائر اهتمام واسعة وقدموا بدورهم إضافات وإسهامات، كانت ومازالت تمثل بكل جدارة وقوة علامة على سمو ودقة ما قدمه علماء بلاد المغرب والأندلس، فقد كتبوا وألفوا ووضعوا الكتب والتصانيف وزادوا شروحات وتنبيهات على ما تركه النحاة العرب الأوائل، وأجمع العلماء الدّارسون لهذا التطوّر اللغوي والنحوي النوعي، على أنّه بحق رّصيد تاريخي من المساهمات التي وصلت بعطاءاتها في مجال الدّراسات النحويّة على سبيل الإشارة إلى درجة متقدمة من التناول والمطارحة للقضايا النحوية واللغوية، وأدركت مستوى كبير من الدقة والمطارحة والنضج.

يمكننا أن نعتبره اليوم ومن جديد ومن وجهة نظر تحليلية ـ دراسية مقارنة بين الفضاءات المشرقية والمغربية، أنه خلق توازنا تاريخيا متكافئا بين الجهتين، فهو حينا يماثل وحينا آخر يتميز عن مستوى إسهامات النحاة العرب المشارقة بزوايا التناول المطارحة والدقة في البيان، وأضاف هؤلاء المغاربة إلى المشارقة شيئا مما يمكن اعتباره اليوم رصيدا نوعيا ورافدا معنويا ورمزيا في تاريخ إنجازات الحضارة العربية، ويمثل القرن الرابع الهجري بامتياز هذا التلاقي المتداخل والمتكافئ في تاريخ هذه الحضارة **(11)**، لقد تميّز القرن الرابع الهجري بحركة علمية دؤوبة وبتوافر عدد كبير من عماء اللغة والنحو، الأمر الذي ساهم بتوفير ظروف دفعت هؤلاء على الإقدام بالقيام على تحريك نشاطات علمية حثيثة، سمحت للكثير ممن ارتبطوا بها بوضع كتب وتآليف غنية وثرية.

لذلك إذا واجهت أفراده وجماعاته صعوبات وعراقيل نتيجة عدم حصول فرز وتصنيف في الرموز والمدلولات، فإنّ فهم وتفسير ذلك يكون وفق كل سياق من سياقات التواصل مبنيا ومرتبطا بمستوى فاعلية الرّصيد الثقافي للاتصال اللغوي، وما يتيحه من مستويات التعامل المتوافق مع مبادئ وخيارات وقواعد تصريف الأمور والمصالح والقضايا بما يتناسب مع الهيكل المنظم للأدوار والمكانات بحسب التراتب التي ترتضيه الجماعة الاجتماعية ضمنيا، وهكذا كلما حصل من التطوّر الفكري والاجتماعي والمعرفي في المجتمع بما يسمح من التمتين والتوافق المتواصلين لتقوية تيار الابتكار والإبداع، فإن مقتضى ذلك تطوّر التعبير وتنوّع أشكاله وأنماطه وصولا لما أصبح يسمى بالتعبير اللغوي الإلكتروني عبر مختلف مواقع التواصل الاجتماعي، وهذا ما ساعد على أن تصبح اللغة بمكوناتها أثرى وأغزر وأكثر انفتاحا على التجديد والتطوير الذاتي وخاصّة في البنيتين القاموسية والمعجمية وقدرتها على الارتقاء بإنتاجها الفكري إلى أرفع المستويات، ومن هنا نرى أن كل لغة إنسانية حية، هي حية في الواقع بحيوية مستعمليها والفضاءات الاتصالية ـ التواصلية التي يرتادونها بها" **(12)**.

حركة النشاط التجاري والتبادل السلعي والسمعة الطيبة لعلماء القرن السادس الهجري، ساعدت كثيرا على تشجيع نشر ونقل الكتب والمؤلفات مشرقا ومغربا، وبذلك تركزت أنظار الدارسين على السعي باكتشاف أسرارا هذا النبوغ الكبير الذي مثله القرن الرّابع الهجري، ويجمع الدارسون لهذا الإبداع الكبير، على أن مجموع ما توافر من العلماء ومن الكتب والمؤلفات يفوق بكثير حجم ونوع ما تم وضعه وتأليفه في بقية القرون التي تميزت بها الحضارة العربية مشرقا ومغربا.

ـ معالم راسخة في تاريخ المسيرة العلمية:

الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية بالإضافة إلى وجود اتجاهات مدرسية متكاملة، شكل عاملا من بين العوامل التي جعلت من هذا القرن مرجعا ودلالة على هذا الإبداع اللغوي الكبير **(13)**، ويمكن ذكر بعض الأسماء المبدعة التي اشتهر بها هذا القرن:

ـ **علي بن يوسف بن خروف القرطبي**: كان من أعلام اللغة العربيّة، وكان صاحب آراء ونظر في مختلف المسائل النحوية والبلاغية، ازدانت كثير من الكتب والمؤلفات بذكره وذكر أقواله وآرائه والاعتداد بها، اشتهر عنه قيامه بكتابة شرح لكتاب سيبويه وشرح آخر لكتاب **"الجمل"** الشهير للزجّاج، كما وضع كتابا آخر بعنوان " **تنزيه أئمة النحو عما نسب إليهم من الخطأ والسّهو"**، نزع فيه إلى أسلوب العرض والجدل في مناقشة آراء معاصريه، وقد خصّص هذا الكتاب للردّ على آراء وأفكار **ابن مضاء** الأندلسي، اشتغل كثيرا بالتدريس وخاصة في مدارس النحو والبلاغة وانتقل لأجل ذلك بين مدن وبلدان مختلفة، كانت وفاته في الفترة بين سنوات **606** هـ و**610** هـ، بعد أن قرّر مغادرة بلاد الأندلس والاستقرار بمدينة حلب ببلاد الشام **(14)**.

ـ **محمد بن أحمد بن طاهر**: كان عالما بعلوم اللغة العربية وعارفا بآدابها، اشتغل بالتدريس وتنقل بين عدة مدن بين العدوتين، كان له اطلاع واسع بفنون اللغة العربية، كان مجالسا لعلماء الفن ومرافقا لهم، وضع تعليقات نحوية على

كتاب "**الإيضاح**" **لأبي علي الفارسي**، وكان من أنجب تلاميذ العالم النحوي **ابن الرمّاك**، الذي عرف عنه مهارته وإتقانه في دراسة كتاب سيبويه، وقد وضع له شروح وتعليقات، كانت له إقامة علمية مطولة في مدينة فاس بالمغرب، لقي اهتمام من قبل معاصريه وخاصة المختصين في النحو، وقد كانت وفاته بالتقريب سنة **580**هـ.**(15)**.

ـ **أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الضّرير** المشهور بالإمام **السّهيلي**: ذاع صيته كوجه من أشهر وجوه علماء القرن السّادس، اقترن هذا الصيت بما كان يعرف عنه من آراء في النحو ومن مناقشات لأشهر علماء النحو القدامى والمعاصرين، وكان يستأنس بها في المجال وفي الجدل العلمي، درس علم النحو وبرع فيه في مجالس الإمامين **ابن الطراوة وابن طاهر**، وردت آراؤه ومواقفه النحوية واستشهد بها في كثير من كتب النحو والبلاغة، ترجم له العلامة **جلال الدين السّيوطي**، وذكر في ترجمته بعض شروحه وكتبه ومؤلفاته ومنها "**شرح الجمل**" و"**التعريف**" و"**الأعلام**"، كانت وفاته سنة **581**هـ.(16)

ـ **الإمام أبو موسى عيسى الجزولي**: اشتهر بمهارته في علم النحو وازدادت شهرته أكثر بعد وضعه مقدمته الشهيرة في علم النحو، شهد له معاصروه ومن درسوا عنده أنه كان حاذقا متمكنا وعارفا بأصول علوم العربية جميعها، وكان يتحدث بإسهاب وطلاقة في مضامين وقواعد فنونها الثلاثة: النحو واللغة والأدب، على غرار معاصرين اشتغل بالتدريس والكتابة وأدار كثيرا من مجالس العلم، كما شهد أيضا كثير ممن درسوا آثار أبي موسى الجزولي لاحقا، أنه كان علامة بارعا بمسائل النحو العربي وقواعده، وقدّم إضافات علمية جديدة، وجعل من **المقدمة الجازولية**، دليلا علميا قائما بتوضيح حدود الممارسة النحوية، التي تسمح باستعمال سلسل للغة وإبداع رفيه بناءً على توظيف هذه القواعد واحترام موازينها، ففي هذا الصّدد أشار **عبد الله كنون** إلى كون الجزولي هو مما يجب إفراده باهتمام علمي وتسليط الضوء على ما قدمه وأضافه في هذا المجال: "فقد عمد **أبو موسى الجزولي** إلى طريقة بعض النحويّين الأوائل الذين كانوا

يميلون إلى تعليل بعض قواعد النحو والنظر إليه على أنه علم ذو قوانين محكمة، فتوسّع فيه ومزجه بشيء من المنطق" **(17)**

عودتنا العلمية اليوم لدراسة ومتابعة هذا سلسلة التطور العلمي المتميز والخاص بالدراسات اللغوية والنحوية في بلاد المغرب والأندلس، هو مما سيسمح لنا دون شك من اكتشاف أهمية العناصر والعوامل التي ساهمت وساعدت على حصول هذه الظاهرة التاريخية الحاسمة في تاريخ التحول الإنساني والثقافي للمنطقة، فأي جهد أو مشروع علمي يقوم على تفعيل ميادين الدراسات اللسانية والنحوية بتوفير الشروط العلمية والمنهجية لما توفر من مناهج هؤلاء اللسانيين والنحاة، ولكل متابعة تاريخية لمضامين واتجاهات كتبهم ومؤلفاتهم، تضعنا في سياق جديد يتميز بالدقة والفاعلية والضبط.

ما سبق من هذه المعطيات والحيثيات يجعلنا نتبنى الموقف القائم على أن أغلب هذه الكتب والمؤلفات كانت تتجه نحو الارتباط والاتساق مع المنهج الذي قامت عليه مناهج النحاة القدامى والأوائل، وكانت على تجانس غالب مع النسق الذي سار عليه هؤلاء الأوائل، وخاصة من جهة التوافق الحاصل على صعيد الالتزام بقواعد الأصول التي نهضت عليها وتأسّست مناهج القدامى، فيما يتعلق بأدوات التعليل والقياس والعوامل، أو على صعيد آخر فيما يتعلق بركائز طريقة المقاربة والتناول المنهاجي والدراسي لمختلف المسائل النحوية واللسانية، ونجد من بين أشهر القرائن والدلائل على ذلك ما نجده في **مقدّمة الشيخ الإمام أبو موسى الجزولي**.

- قائمة ثبت المراجع:

(1) Linda Thomas, Shan Wareing : **Language, Society and Power**, Routledge & Kegan Paul, London, **2**nd edition, **2002**, p **82**.

(2) شوقي ضيف: **المدارس النحوية**، ط**2**، دار المعارف، القاهرة، **1972**، ص **288** وما بعدها.

ـ انظر كذلك محمد حجي: **سيبويه في المغرب والأندلس،** مجلة دعوة الحق، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف، العدد السابع، للسنة السادسة عشرة.

(3) من أكثر المهتمين بكتاب وفكر سيبويه من غير العرب الألماني كارل بروكلمان والروسي فيكتور إيفدوكيموف **Jean Patrick Guillaume ;André Basset ; Lucien Teniere ; Israël livingstone**

(4) انظر الإمام الزبيدي: **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ط1، مطبعة البابي الحلبي القاهرة، **1954**، ص **177** و **278**

(5) أكرم حسين عامودي: **جوانب من الحياة العلمية بالأندلس**، بيروت، دار الآداب، **1972**، ص ص **31 ـ 39**.

(6) شوقي ضيف: **مرجع سابق** ص**283**.

(7) للتوسع أكثر يمكن العودة إلى مضمون كتاب جاك بيرك: **اللغة العربية،** دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس 1981.

(8) آلبير مطلق: **الحركة اللغويّة في الأندلس**، دار العلم للملايين، بيروت، **1967**، ص ص **148 ـ 152**، ـ انظر الزبيدي: **طبقات النحويّين واللغويّين،** تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ط**1**، القاهرة، **1954**، ص ص **337** و**363** .

(9) سعدون الجمالي: "**التراكيب الاجتماعية للغة ومستويات دلالاتها**، مطبوعات الجامعة المستنصرية، بغداد، **1971**، ص. **93**.

(10) أنظر كارل بروكلمان: **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة عبد الحليم النجار، الجزء**2**، ص**280**، دار المعارف، القاهرة، 1974.

(11) لأجل التوسّع والدقة أكثر يمكن للقارئ مراجعة الكتاب التالي:

ـ رضا عبد الجليل الطيّار: **الدّراسات اللغويّة بالأندلس**، دار الزهراء، بغداد، **1980**، ص**27** وما بعدها.

(12) اسماعيل حمداني، سليمان الشيخ: **اللغة والهوية والتعدّدية اللسانية**، "منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر"، **2006**، ص**36**.

(13) محمد عيد: **أصول النحو العربي**، دار الآداب الحديثة، القاهرة، **1973**، ، ص**36**

(14) الإمام جلال الدين السيوطي: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الجزء**2**، القاهرة، **1964**، ص**203**.

(15) نفس المرجع، الجزء **1**، ص**28**.

(16) الإمام ابن مضاء القرطبي: **الردّ على النحاة**، تحقيق شوقي ضيف، دار الفكر العربي، القاهرة، **1974**، ص **160**.

ـ شوقي ضيف: **المدارس النحوية**، مرجع سابق، ص289.

ـ علي جهمان العنيري: **تاريخ الأدب الأندلسي**، دار الشروق، جدة، **2009**، ص ص **121** ـ **125**.

(17) عبد الله كنون: **أبو موسى الجزولي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون تاريخ، ص ص **10** ـ **12**